أثر القدوة في بناء كيان الشاب المسلم
في ضوء السنة النبوية المطهّرة

إعداد الأستاذ الدكتور

عبد العزيز شاكر حمدان الكبيسي

أستاذ السنة النبوية وعلومها
بجامعة الإمارات العربية المتحدة

أثر القدوة في بناء كيان الشاب المسلم في ضوء السنة النبوية المطهّرة

عبد العزيز شاكر حمدان الكبيسي

قسم السنة النبوية وعلومها بجامعة الإمارات العربية المتحدة

البريد الإلكتروني: Abdelaziz.Shaker66@yahoo.co

الملخـــص :

تعد السنة النبوية المطهّرة المصدر الثاني الذي تستمد منه التربية الإسلامية منهجها في بناء الذات الإنسانية وتكوينها، وذلك لما اشتملت عليه من التوجيهات النيرة، والحِكَم الرائعة، والأمثال الموضحة، والقصص الهادفة، التي تعمل على إرساء قواعد ذلك البناء، وتحقيق تكامله، وقد تعددت وسائل السنة النبوية وأساليبها لتحقيق تلك الغاية المنشودة ولا سيما في بناء كيان الشاب المسلم وتنشئته التنشئة السليمة السوية، ومن أهم تلك الوسائل وأنجعها وسيلة التربية بالقدوة في تكوين الفرد وتنشئته عقيدةً وعبادةً وسلوكًا وأخلاقًا. ويهدف البحث إلى: التعرف على مفهوم القدوة من منظور إسلامي، الوقوف على أنواع القدوة في المنظور الإسلامي، التعريف بأهم الآليات والوسائل التي قام عليها منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التربية بالقدوة الحسنة في بناء كيان الشاب المسلم في ضوء سنته المشرفة، إبراز جوانب التربية للشاب المسلم بالقدوة في البناء العقدي والتعبدي والاجتماعي والسلوكي والأخلاقي في ضوء الهدي النبوي الكريم.

الكلمات المفتاحية: أثر، القدوة، بناء، الشباب، المسلم، السنة النبوية.

The Impact of Role Models on Shaping the Entity of Young Muslims in the Light of the Prophetic Traditions

By: Abdel- Aziz Shaker Hemdan Al- Kubaisy
Department of Sunnah and its Sciences
University of United Arab Emirates

Abstract

The prophetic traditions constitute the second source where Islamic pedagogy derives its methodology of shaping and reconstructing the human entity due to the bright insights, magnificent maxims, clear examples and constructive stories it contains. Such directions strengthen the pillars of the structure of Muslim youth and achieve its integration. To fulfill the ultimate goal of reconstructing the entity of young Muslims and bring them up properly, the Sunnah has utilized various methodologies and approaches. The most important and convenient methodology is that of role modelling as it influences the building up of the individual and his upbringing dogmatically, behaviorally and ethically. Thus, the research aims at identifying the concept of role models and its types from an Islamic perspective. The research is also keen on highlighting the most important mechanisms and methodologies which prophet Muhammad peace be included in his approach of reconstructing young Muslims considering role models in his Sunnah. Moreover, the research displays the aspects of bringing up young Muslims by means of role models considering the dogmatic, devotional, social, behavioral and ethical structure in the light of the prophetic guidance.

Key words: impact, structure, youth, Muslim, Prophetic traditions

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمدُ للهِ ربّ العالمين، والصلاةُ والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإنّ السنة النبوية المطهّرة تعد المصدر الثاني الذي تستمد منه التربية الإسلامية منهجها في بناء الذات الإنسانية وتكوينها، وذلك لما اشتملت عليه من التوجيهات النيرة، والحِكَم الرائعة، والأمثال الموضحة، والقصص الهادفة، التي تعمل على إرساء قواعد ذلك البناء، وتحقيق تكامله.

وقد تعددت وسائل السنة النبوية وأساليبها لتحقيق تلك الغاية المنشودة ولا سيما في بناء كيان الشاب المسلم وتنشئته التنشئة السليمة السوية، ومن أهم تلك الوسائل وأنجعها وسيلة التربية بالقدوة في تكوين الفرد وتنشئته عقيدةً وعبادةً وسلوكًا وأخلاقًا.

أهمية البحث:

يكتسب هذا البحث أهميته من خلال ما يأتي:

١-أهمية موضوع القدوة في منهج التربية الإسلامية، وتنشئة الأجيال، والحاجة الماسة إلى التذكير به في عالم اليوم.

٢-الكشف عن جوانب تربية الشباب بالقدوة في ضوء السنة النبوية المطهّرة.

٣- إبراز أهمية القدوة الحسنة في بناء كيان الشاب المسلم وتكوينه وفق المنهج الذي يرتضيه الله سبحانه وتعالى لعباده في ضوء وحيه لرسوله صلّى الله عليه وسلّم، وتطبيقه العملي لها.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق ما يأتي:

ا- التعرف على مفهوم القدوة من منظور إسلامي.

٢- الوقوف على أنواع القدوة في المنظور الإسلامي.

٣-التعريف بأهم الآليات والوسائل التي قام عليها منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التربية بالقدوة الحسنة في بناء كيان الشاب المسلم في ضوء سنته المشرفة.

٤- إبراز جوانب التربية للشاب المسلم بالقدوة في البناء العقدي والتعبدي والاجتماعي والسلوكي والأخلاقي في ضوء الهدي النبوي الكريم.

خطة البحث:

سيشتمل البحث على تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة:

تمهيد في بيان تعريف القدوة وأنواعها، ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: تعريف القدوة في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني: أنواع القدوة.

المبحث الأول: القدوة في البناء العقدي للشباب.

المبحث الثاني: القدوة في البناء التعبدي للشباب.

المبحث الثالث: القدوة في البناء السلوكي والأخلاقي للشباب.

المبحث الرابع: القدوة في البناء الاجتماعي للشباب.

وخاتمة في أهم النتائج والتوصيات والمقترحات.

وستجمع هذه الدراسة بين المنهج الاستقرائي والوصفي والتحليلي بغية الوصول إلى تحقيق الأهداف المرجوة من هذا البحث، والله ولي التوفيق.

تمهيـــد

في بيان تعريف القدوة وأنواعها

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف القدوة لغةً واصطلاحاً.

أ-تعريف القدوة لغةً:

القدوة: -بضم القاف وكسرها - اسم لمن يُتأسى ويقتدى ويُستنن به. يقال: فلان قدوة، أي يُقتدى به ويُسار على طريقه، ويُتبع في أقواله وأفعاله وسيرته، ومن ذلك قوله تعالى: " فبهداهم اقتده"(١) (٢)

فالقدوة: اســم مأخوذ من الاقتداء، والقدوة والاقتداء مأخوذان من مادة القاف والدال والواو التي تدل على اقتياس بالشيء واهتداء.

قال ابن فارس:

"قولهم: فلان قُدوةٌ- بضم القاف وكسرها -: يقتدى به. ويقولون: إنّ القَدْوَ: الأَصل الذي يتشعب منه الفروع".(٣)

وقال ابن منظور:

" والقُدْوَةُ والقِدْوةُ: الأُسوةُ. يقال: فلانٌ قُدوة يُقتدَى به ".(٤)

وفي المعجم الوسيط:

"القدوة هي المثال الذي يتشبه به غيره، فيعمل مثل ما يعمل، أو الأصل الذي تتشعب منه الفروع".(٥)

---

(١) - سورة الأنعام: ٩٠.

(٢) - انظر لسان العرب: ٥/ ٣٥٥٦، الصحاح: ٦/ ٢٤٥.

(٣) - معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٦٦- ٦٧.

(٤) - لسان العرب: ٥/ ٣٥٥٦.

(٥) - المعجم الوسيط :٢/ ٧٢١.

ب-تعريف القدوة اصطلاحًا:

"هي اتباع الغير على الحالة التي يكون عليها حسـنةً أو قبيحة". "والاقتداء "هو طلب موافقة الغير في فعله".[١]

فالقدوة: هي الحال التي يكون الإنسان عليها في التأسي بغيره واتباعه له سواء أكان ذلك في الحسن أو القبيح، الضار أو النافع؛ ولذلك قال الله تعالى: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا" [٢] فوصفها بالحسنة تمييزاً لها عن غيرها.[٣]

المطلب الثاني: أنواع القدوة

تنقسم القدوة إلى قسمين رئيسين هما:

القسم الأول: القدوة الحسنة:

ويراد بها الإنسان المربي الذي يدعو إلى الفضائل والخصال الحسنة والكمالات السلوكية التي اتصف وعمل بها من قبل.[٤]

وتنقسم إلى قسمين أيضـًا هما:

أ – القدوة الحسـنة المطلقة: أي المعصـومة عن الخطأ والزلل، ويراد بها: الاقتداء بالشـخص في جميع أقواله وأفعاله وتصرفاته، وتنحصر في الاقتداء برسل الله وأنبيائه منهجـًا وسلوكـًا والتأسي بهم.

قال تعالى: " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة " الآية[٥]

وقال سبحانه: " قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه" ثم قال سبحانه: "لقد كان لكم فيهم

(١) – فتح القدير: ٢/ ١٣٧.

(٢) – سورة الأحزاب: ٢١.

(٣) – المفردات في غريب القرآن: ١٨، الكليات: ١/ ١٦٠.

(٤) – انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية:٣٢٧.

(٥) – سورة الأحزاب: ٣.

أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر" [١].

وقال أيضـًا: "أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده"[٢]. [٣]

ب – القدوة الحسنة المقيدة بما شرّعه المولى سبحانه وتعالى، وسميت مقيدة لأنها غير معصومة من الخطأ والزلل، كما هي في عباد الله الصالحين من البشر من غير الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فهذا الصنف من الناس قد يتأسى بهم في أمور دون أخرى، وذلك لاحتمال صدور الخطأ منهم بسبب طبيعتهم البشرية، أو خطأ في الاجتهاد، ومن هنا كان التأسي والاقتداء بهم محكومـًا بموافقة شرع الله تعالى.

فالمسلم يقتدي بالصالحين ونحوهم عندما يوافقوا الحق ويصيبوه، ويجتنب التأسي والاقتداء بهم عند بعدهم عن الصواب، "وبهذا يكون أسلوب القدوة الحسنة أسلوبًا عامًا يشمل التأسي بكل من عمل عملاً صالحًا حسنًا سواء أكان نبيًا رسولاً، أو كان تابعًا للرسل الكرام ناهجًا نهجهم في عمله". [٤]

القسم الثاني: القدوة السيئة[٥].

وتعني: "الاقتداء بأهل الباطل ومتابعتهم والتّأسّي بهم في فعل السّيّئات وترك الحسنات". [٦]

ومن هذا القسم قول المشركين حين دعتهم رسلهم للاقتداء بهم " إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ"[٧]

ومن الأحاديث الواردة في السنة النبوية المطهّرة في ذم القدوة السيئة قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أبغض النّاس إلى اللّه ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغٍ في الإسلام سنّةَ الجاهليّة، ومُطّلبُ دمِ امرئ بغير حقّ ليُهريق دَمَهُ". [٨]

(١) – سورة الممتحنة: الآيات ٤ – ٦.
(٢) – سورة الأنعام: الآية ٩٠.
(٣) – انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ١/ ٦٦٠.
(٤) – انظر القدوة الصالحة: ٤.
(٥) – انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ١/ ٦٦٠.
(٦) – انظر مقال: القدوة السيئة، موقع الإسلام تاريخ الدخول ١٧/ ٤/ ٢٠١٨.
(٧) – سورة الزخرف: الآية ٢٢.
(٨) – أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٦٨٨٢، ومسلم في صحيحه برقم ١٠٣٧.

المبحث الأول: القدوة في البناء العقدي للشباب

تمثل العقيدة حجر الأساس في الدين الإسلامي، وبوابة الدخول فيه، وأساس العبادة السليمة لله تعالى، والمحرّكة للمسلم في حركاته وسكناته، ومنطلقًا لسائر أعماله وتصرفاته.

وتظهر أهمية العقيدة من خلال النظر في مراحل الدعوة الإسلامية التي نهجها النبي صلى الله عليه وسلّم، حيث شكّلت المرحلة المكية ثلاث عشرة سنة من عمر تبليغ الرسالة، وفيها اقتصر التنزيل القرآني والتوجيه النبوي على إرساء أسس العقيدة الصحيحة، ونبذ الشرك وعبادة الأوثان، ومحاربة السلوكيات الخاطئة، وإشاعة الأخلاق الفاضلة.

وإذا عرفنا هذا أقول:

إنّ للقدوة الحسنة أثراً كبيراً في تكوين البناء العقدي المسلم، ولا سيما في مرحلة الطفولة والتنشئة، ومرحلة الصبا والمراهقة، لأنه يحاكي ويتأثر بمن يراه الأسوة والقدوة كالأب والأم، والمعلم، والموجّه، والمربي، وغيرهم.

وقد لفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنظار إلى ذلك، وأكد على أهميته في التكوين وأثره الكبير في التنشئة من خلال قوله:

" كلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتَجُ البَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ".(١)

فالقدوة الحسنة والأسوة الصالحة للمسلم تدفعه إلى الاعتقاد الحق بوجود الله خالقًا لكل شيءٍ، وإلهًا عظيمًا هو وحده المستحِقُّ لأن يُعبد، وربًا كريمًا متصفًا بصفات الكمال والجلال والجمال، سبحانه له الأسماء الحسنى والصفات العُلى، و تجعله على صلة وثيقة بالله تعالى، دائم الأوبة والرجوع إليه، كثير التعلق به، مستحضراً الإخلاص في النية والعمل، ومتى ما استوطن الإخلاص قلب المسلم تحركت الجوارح ساعية لرضا الله سبحانه وتعالى في كل عمل تنهض به، وكان الله رقيبًا عليها في جميع الحركات والسكنات، واستشعر قوله تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ

(١) – أخرجه البخاري في صحيحه برقم ١٣٣٠.

أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ"[١]

كما أنّ القدوة الحسنة تغرس في نفس الشاب المسلم معاني العزة والثقة بالله والتوكل عليه، فيكتسب قوةً في الإرادة، ومضـاءً في العزيمة، وثباتـًا في الإقدام، وذلك يجعل حياته خالية من الحيرة والتشـاؤم والتردد، وتتحرر نفسه من الأهواء والخضوع للآخرين، ومن تسلط الخوف والحزن، وبهذا يكون إنسانـًا فاعلاً في أمته، صـالحـًا لمجتمعه، سـاعيـًا لشـيوع الخير فيه، وناشـداً لبلوغ قيم الفضـيلة والصـلاح والإحسان.

وهذا ما فعله النبي صـلى الله عليه وسـلم مع أصـحابه – ومنهم الشـباب– عندما كانوا يشـكون إليه بطش قريش وعذابها وفتنتها، فكان يذكر لهم القدوة من الأمم السـابقة في الثبات على العقيدة، وما ينتظرهم في مستقبل الأيام.

يقول الصحابي الجليل خباب بن الأرت رضي الله عنه:

"شكَوْنَا إلى رسول اللّهِ صلّى الله عليه وسلّم وهو مُتَوَسّدٌ بُرْدةً له في ظلِّ الْكعْبَةِ قُلْنا له ألا تَسْتَنْصرُ لنا ألا تدْعُو اللّهَ لنا قال كان الرّجُلُ فيمَنْ قبْلَكُمْ يُحْفرُ له في الأرض فيُجْعَلُ فيه فيُجَاءُ بالْمِنْشَـارِ فيُوضَـعُ على رَأْسِهِ فيُشَقُّ باثْنَتَيْنِ وما يصُدُّهُ ذلك عن دينِهِ ويُمْشَطُ بأَمْشَاطِ الْحَديدِ ما دونَ لَحْمِهِ من عظْمٍ أو عصَبٍ وما يصُدُّهُ ذلك عن دينِهِ والله لَيُتَمَّنَّ هذا الْأَمْرَ حتى يَسيرَ الرَّاكبُ من صنْعَاءَ إلى حضْـرَمَوْتَ لا يخَافُ إلا اللّهَ أو الذّئْبَ على غَنَمِهِ وَلَكنَّكُمْ تَسْتَعْجلُونَ"[٢]

وقوله صلى الله عليه وسلم لعمار بن ياسر، وأمه سمية رضي الله عنهما عندما مرّ بهما وهما يعذَّبان:

" صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ". [٣]

(١) – سورة ق: ١٦.

(٢) – أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٣٤١٦.

(٣) – أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: برقم ٧٩٦.

المبحث الثاني: القدوة في البناء التعبدي للشباب

تعد العبادة الوظيفة الأساسية التي كلّف بها الإنسان منذ أن يشب ويبلغ في هذه الحياة، وفي ذلك يقول الله تعالى:" وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ "(١)

وهي المقصود الأسمى من إرسال الأنبياء، قال تعالى: " وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ"(٢)

وعندما ننعم النظر في هدي النبي صلّى الله عليه وسلّم نجد شدة حرصه على استخدام القدوة في البناء التعبدي للفرد المسلم شابًا كان أو غير ذلك، وتعليمه ما شرع من العبادات، وذلك لأن عقول الناس متفاوتة في فهم الخطاب، نظراً لتفاوت أفهامهم، وهنا يأتي دور القدوة المتجسدة لتحقيق التأسي والتعلم، حيث تقدم نموذجًا مرئيًا ومشاهداً بالعين المجردة فيتساوى أمامها الجميع، ويتحقق المعنى المراد إيصاله للفرد المقتدي، لأنّ الأفعال يفهمها كل أحد دون استثناء، وهي أقصر الطرق إلى الإقناع والتطبيق.

ومن تطبيقات ذلك مخاطبته صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضي الله عنهم بقوله:

"مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ".(٣)

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ الزهري – وهو أحد رواة الحديث–: وَكَانَ عُلَمَاؤُنَا، يَقُولُونَ: "هَذَا الْوُضوءُ أَسبغُ مَا يَتَوَضَّأُ بِهِ أحدٌ للصَّلاةِ (٤)."

(١) – سورة الذاريات: ٥٦ – ٥٨.

(٢) – سورة النحل: ٣٦.

(٣) – أخرجه مسلم في صحيحه برقم ٣٣٦.

(٤) – المصدر السابق.

كما خاطبهم بقوله عليه الصلاة والسلام:

" صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي وَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ"(١)

وقوله صلى الله عليه وسلم:

"لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ"(٢)

وقد بيّن الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في تعليقه على هذا الحديث أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما خطب بالناس يوم النحر وقال يومها: "خذوا عني مناسككم" "وكأنّه وعظهم بما وعظهم به في تعليمهم على تلقي ذلك من أفعاله".(٣)

وكما نجد "أنه عليه الصلاة والسلام صلّى على المنبر".

وفي رواية: "أنه ذو ثلاث درجات" "فقام عليه" فكبر، وكبر الناس وراءه وهو على المنبر "ثم ركع وهو عليه"، ثم رفع فنزل القهقرى حتى سجد في أصل المنبر، ثم عاد، "فصنع فيها كما صنع في الركعة الأولى" حتى فرغ من آخر صلاته، ثم أقبل على الناس فقال: "يا أيها الناس إني صنعت هذا لتأتموا بي، ولتعلموا صلاتي".(٤)

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: "بيّن صلى الله عليه وسلم أنّ صعوده المنبر وصلاته عليه إنما كان للتعليم، ليرى جميعهم أفعاله صلى الله عليه وسلم، بخلاف ما إذا كان على الأرض فإنه لا يراه إلا بعضهم ممن قرب منه".(٥)

وعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُمْ " كَانُوا يَسْمَعُونَ مِنْهُ فِي الظُّهْرِ النَّغَمَةَ بِـ : سَبِّحِ

(١) – أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٦٠٠٨.

(٢) – أخرجه مسلم في صحيحه برقم ١٢٩٧.

(٣) – فتح الباري: ١٣/ ٢٣٦.

(٤) – أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٩١٧، ومسلم في صحيحه برقم ٥٤٤.

(٥) – شرح صحيح مسلم: ٥/ ٣٥.

اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ، وَ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ"".[١]

كما أنّ قيام القدوة الصالحة بأداء العبادات أمام المقتدي يكون حافزاً له -ولا سيما إذا كان ناشئًا -على التشبه به ودافعًا له أن يختار ذلك السلوك لنفسه، لأنه يبصر الشخص الذي يقتدي به، والذي يحبه ويجله يصنع ذلك ويحرص على أدائه.

ويشهد لذلك قصة الصحابي الجليل عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عندما صلّى قيام الليل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك يقول رضي الله عنهما:

"بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ لَيْلَةً فَقَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ قَامَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَتَوَضَّأَ مِنْ شَنٍّ مُعَلَّقٍ وُضُوءًا خَفِيفًا ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي فَقُمْتُ فَتَوَضَّأْتُ نَحْوًا مِمَّا تَوَضَّأَ ثُمَّ جِئْتُ فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ فَحَوَّلَنِي فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ ثُمَّ صَلَّى مَا شَاءَ اللهُ ".[٢]

وهنا نلاحظ أن عبدالله بن عباس وهو فتى صغير عندما يرى أسوته رسول لله صلى الله عليه وسلم قد توضأ وقام ليصلي فعل مثله فقام و وتوضأ والتحق به مصليًا معه من غير أن يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، وفي قوله رضي الله عنه:

" فَقُمْتُ فَتَوَضَّأْتُ نَحْوًا مِمَّا تَوَضَّأَ" تأكيد على أهمية التربية بالقدوة في العبادة، وضرورة تجسيد ذلك في أفعال القدوة امام المقتدي.

كما نجد أنّ النبي صلى الله عليه وسلم يأمر المسلم أن يجعل لبيته نصيبًا من صلاة السنن بقوله: "اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم، ولا تتخذوها قبوراً".[٣]

وقوله:

"إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده فليجعل لبيته نصيبًا من صلاته فإنَّ الله جاعل في بيته من

(١) - أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم ١٨٦١.

(٢) - أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٥٩١٩، ومسلم في صحيحه برقم ٧٦٦.

(٣) - أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٤٢٢، ومسلم في صحيحه برقم ٧٧٧.

صلاته خيراً ".[١]

وذلك الخير المرجو من صلاة المرء للسنن في بيته يتمثل في عدة أمور، منها: عمارة البيت بذكر الله والتقرب بطاعته، وشهود الملائكة، واستبشارهم، وما يحصل لأهل بيته من بركة وثواب".[٢]

كما نجد في هذا الحديث إرشاداً للمربين وغيرهم ممن يقتدى بهم إلى أنّ أداء العبادة أمام الأطفال واليافعين أسلوب من أساليب تعليمهم وتربيتهم على أدائها صحيحة على وفق الكيفية التي أدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك العبادة.

كما أنّ القدوة تكون أدعى للمسلم – في حال تردده – إلى المسارعة في اتباع الهدي وتطبيق القول، فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر الصحابة بالفطر في رمضان يوم فتح مكة فتردد بعضهم، "فدَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ فَرَفَعَهُ حَتَّى نَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ ثُمَّ شَرِبَ "[٣]

فجمع عليه الصلاة والسلام بين القول والفعل ليكون أدعى للاستجابة والتأسي به.

كما نلاحظ سرعة مبادرة الصحابة رضى الله عنهم واستجابتهم إلى امتثال أوامره ونواهيه صلى الله عليه وسلم والاقتداء بأفعاله من خلال هذه الحادثة التي يرويها لنا الصحابي الجليل عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال:

" كان رسولُ اللّهِ صلّى الله عليه وسلّم يَلبَسُ خاتَمًا من ذهبٍ فنَبَذَهُ فقال: لا أَلْبَسُهُ أَبَدًا فنَبَذَ الناس خوَاتِيمَهُمْ"[٤]

و تذكر كتب السيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية عندما منعتهم قريش من التوجه صوب مكة لأداء العمرة أمر أصحابه أن ينحروا ما ساقوا من الهدي ويحلقوا رؤوسهم، فلم يستجب منهم أحد حتى كرر ذلك الأمر ثلاث مرات ولم يستجب له أحد أيضًا، فدخل صلّى الله عليه

(١) – أخرجه مسلم في صحيحه برقم ٧٧٨.

(٢) – انظر فيض القدير: ١/ ٤١٨.

(٣) –أخرجه مسلم في صحيحه برقم ١٨٨٥ والترمذي في سننه برقم ٧١٠.

(٤) – أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٥٥٢٩، ومسلم في صحيحه برقم ٢٠٩١.

وسلّم على زوجه أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، وذكر لها ما لقي من أصحابه، فقال له: "يا نَبيَّ اللّهِ أَتُحبُّ ذلك اخرُجْ لا تُكَلّمْ أحَدًا منهم كَلمَةً حتى تنْحَرَ بُدْنكَ وتَدْعُوَ حَالقَكَ فَيَحْلقَكَ، فخَرَجَ فلم يُكَلّمْ أحَدًا منهم حتى فعَلَ ذلك نحَرَ بُدْنهُ، ودَعَا حَالقَهُ فحَلَقَهُ، فلما رأَوْا ذلك قامُوا فنَحَرُوا، وجَعَلَ بعْضُهُمْ يَحْلقُ بعْضًا حتى كادَ بعْضُهُمْ يقْتُلُ بَعضًا".(١)

كما نجد أثر القدوة واضحًا جليًا في مقولة عمر- رضي الله عنه- عندما أتى الحجر الأسود فقبّله: "إنّي أعلم أنّك حجر لا تضرّ ولا تنفع، ولولا أنّي رأيت النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقبّلك ما قبّلتك"(٢)

ونجد أثرها جليًا في صنيع عبدالله بن عمر رضي الله عنهما الذي حكاه لنا التابعي الجليل سعيد بن جبير فقال: «كنتُ مع ابن عمر حيث أفاض من عرفات، ثمّ أتى جمعًا فصلّى المغرب والعشاء، فلمّا فرغ قال: فعل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم في هذا المكان مثل ما فعلتُ. قال هشيم مرّة: فصلّى بنا المغرب، ثمّ قال: الصّلاة، وصلّى ركعتين، ثمّ قال: هكذا فعل بنا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم في هذا المكان".(٣)

كما نلاحظ أثر القدوة في غيره، وكيف أنّ انظار المقتدين شاخصة إليه يفعلون ما يفعل، ويتأسون بما يصنع في قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند رؤيته على طلحة بن عبيد الله ثوبا مصبوغًا وهو محرم، فقال عمر: ما هذا الثوب المصبوغ يا طلحة؟ فقال طلحة: يا أمير المؤمنين إنما هو مدر. فقال عمر: " إنكم أيها الرهط أئمة يقتدي بكم الناس فلو أنّ رجلاً جاهلاً رأى هذا الثوب لقال إنّ طلحة بن عبيد الله كان يلبس الثياب المصبّغة في الإحرام، فلا تلبسوا أيها الرهط شيئًا من هذه الثياب المصبّغة".(٤)

(١) - انظر القصة في صحيح البخاري برقم ٢٥٨٣، وصحيح مسلم برقم

(٢) - أخرجه البخاري في صحيحه برقم ١٥٢٠، ومسلم في صحيحه برقم ١٧٢٠.

(٣) - أخرجه مسلم في صحيحه برقم ٢٨٧، والنسائي في سننه برقم ٤٨٢، وأبو داود في سننه برقم ١٩٣٠.

(٤) - أخرجه مالك في الموطأ برقم ٧٢٠.

المبحث الثالث: القدوة في البناء الاخلاقي والسلوكي للشباب

مهما يكن من أمر إيجاد منهج تربوي متكامل، ورسم خطة محكمة لنمو الإنسان، وتنظيم مواهبه وحياته النفسية والانفعالية والوجدانية والسلوكية، واستنفاد طاقاته على أكمل وجه.. مهما يكن من ذلك كله، فإنه لا يُغني عن وجود واقع تربوي يمثّله إنسان مربٍّ؛ يحقق بسلوكه وأسلوبه التربوي كل الأسس والأساليب والأهداف التي يراد إقامة المنهج التربوي عليها "[1] ولذلك تعد القدوة الحسنة من أفضل الوسائل وأنجعها، وأشدها تأثيراً في البناء الأخلاقي والسلوكي الشاب المسلم وتربيته، حيث تُنمي فيه الفضائل الحميدة والسلوكيات القويمة، وتسهم في بناء ذاته وتكوين شخصيته، من خلال تهذيب سلوكه وتصرفاته، وذلك لأنها تمثل تطبيقا عمليا تبصره العين، وتسمعه الأذن، ويتأثر به القلب، فتحصل به القناعة والتأسي والاقتداء.

إنّ نجاح عملية التنشئة الأخلاقية والسلوكية للذات الإنسانية يتوقف على القدوة، فإذا كانت حسنة تكاملت الشخصية أخلاقيًا وسلوكيًا، وإذا كانت القدوة سيئة نتج عن ذلك الانحراف والفساد والانحلال الخلقي.

ومن ينعم النظر في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم يجد ذلك واضحًا وجليًا في منهجه التربوي عليه الصلاة والسلام الذي يقوم على التطبيق العملي لما يدعو إليه، ولهذا عندما سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم قالت: " فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ كَانَ القُرآنَ"[2]

فالقدوة الحسنة التي تتحلى بالقيم والخصال الحميدة تعطي للآخرين قناعة بأنّ بلوغ هذا المقام من الأمور التي يمكن تحقيقها على أرض الواقع، وأنها في متناول قدراتهم، وتكشف لهم أنّ هذه الفضائل ليست حصراً على زمان أو مكان معين، وأنها ليست مجرد قيم يُطمح إلى تجسيدها، بل هي

(١) – أصول التربية الإسلامية ٢٥٤.

(٢)– أخرجه مسلم في صحيحه برقم ٧٤٦.

في المتناول، ويمكن تطبيقها في الواقع، ومشاهدة الحال تصبح دليلاً عمليًا على ذلك. (١)

كما أنّ المرء عندما يرى سلوكًا حسنًا يستحق الحمد عليه من قبل الآخرين، فإنّ ذلك يدفعه إلى استحسانه والإعجاب به، والتقدير له، ويكون سبيلاً له إلى التأسي والاقتداء به.

ويشهد لذلك في السنة النبوية المطهرة هذه القصة التي أخرجها الإمام مسلم في صحيحه:

"جَاءَ نَاسٌ مِنْ الأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ الصُّوفُ فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ فَأَبْطَئُوا عَنْهُ حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ قَالَ ثُمَّ إِنَّ رَجُلا مِنْ الأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ وَرِقٍ ثُمَّ جَاءَ آخَرُ ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّى عُرِفَ السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ". (٢)

ومما يؤكد خطر القدوة وتأثر المقتدي بصنيعها وسلوكها قول عتبة بن أبي سفيان لمعلم ولده:

" ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بنَّي إصلاحك لنفسك، فإنّ أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت". (٣)

كما أنّ التأسي بالقدوة الحسنة ينشئ الاعتدال في سلوك المقتدين ومشاعرهم، وتبصّرهم بعيوبهم، وترشدهم إلى الأسلوب الناجع في التخلص منها من خلال مقارنة أعمالهم وسلوكهم بما عليه تلك القدوة فيتأسون بهم، ويصلحون تلك العيوب.

وإذا كنا نتحدث عن القدوة وأثرها في البناء الأخلاقي والسلوكي للشاب المسلم فلا بد من الإشارة إلى أهمية تجسيد تلك الوسيلة في مجتمعاتنا البشرية اليوم-ولا سيما في المجتمعات غير

(١) - انظر أسلوب تربية الطفل بالقدوة لنور ناجحان ١٢٢، أصول التربية الإسلامية للنحلاوي: ٢٣٢، التربية والتعليم بالقدوة الحسنة: ١٧

(٢) - اخرجه مسلم في صحيحه برقم ١٠١٧.

(٣) - البيان والتبيين: ١/ ٢٤٩.

المسلمة-حيث إنها أحوج ما تكون إلى ذلك فتكون مدعاة لصيانة الشاب المسلم الذي يعيش في تلك الأصقاع من الانحراف عن الجادة، وتعكس في الوقت نفسه التطبيق العملي الصحيح لهذا الدين، وتجسد رسالة دعوية تطبيقية لتعريف غير المسلمين بأخلاقيات الإسلام وسلوكياته القائمة على الحب والرحمة والتوازن والاعتدال والتسامح والسلام.

وقد انتشر الإسلام في كثير من أصقاع الأرض بالقدوة الحسنة التي كانت محط إعجاب غير المسلمين وتقديرهم واستحسانهم، وجسّدت النموذج الرائع في صدق التعامل وحسن السلوك، فكان ذلك دافعًا لهم على الدخول في الإسلام كما هو الحال في إندونيسيا وغيرها من دول جنوب شرق آسيا وجنوب الهند وسيلان وجزر المالديف، وسواحل الصين ، وأواسط أفريقيا في نيجيريا والسنغال وتنزانيا والصومال، وعبّرت الأفعال عن الأقوال، وحل الاقتداء والمحاكاة مكان التعليم والتلقين والموعظة.

فالقدوة هي أسلوب عملي ناجع في الدعوة إلى الله تعالى، بل هي الدعوة الصامتة التي تفتح القلوب والنفوس والعقول.

ومما يشهد لذلك أيضًا الإحصائيات المعاصرة لدور المسلمين الجدد في بعض البلاد الإسلامية التي تؤشر على دخول أعداد كبيرة من غير المسلمين إلى رحاب الإسلام لما يرونه من حسن تعامل المسلمين معهم، واستقامة سلوكياتهم، وطيب معاشرتهم لهم. (١)

وكما نجد ذلك أيضًا واضحًا جليًا في عصر النبوة في قصة إسلام عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفي ذلك يقول: "لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَقِيلَ : قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَلَمَّا اسْتَثْبَتُّ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ

(١) - ومن ذلك ما سجّله قسم المسلمين الجدد في مدينة دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة من دخول عشرة آلاف مقيم في الإسلام يمثّلون سبعين جنسية خلال الفترة الممتدة بين سنة ١٩٩٦ وسنة ٢٠٠٩. انظر جريدة الاتحاد الإماراتية الصادرة في ١٠ يونيو ٢٠١٠م.

بِوَجْهِ كَذَّابٍ ، وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ : " أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ " (١)

فاستدل عبدالله بن سلام رضي الله عنه بخُلُق النبي صلى الله عليه وسلم، ووجهه الذي ينبئ عن صدقه.

ومن هنا نجد أنّ النبي صلى الله عليه وسلم يحذّر أشد التحذير من الانفصام بين القول والفعل في سلوك القدوة الذي يدعو إلى الله تعالى فيقول:

" يؤْتَى بِالرَّجلِ يوم الْقِيَامَةِ فَيلْقَى فِي النّارِ فَتَنْدَلقُ أَقتَابُ بَطْنِهِ فَيَدورُ بها كما يَدورُ الْحمَارُ بالرَّحَى فَيَجْتَمعُ إليه أَهلُ النّارِ فَيَقولُونَ يا فلَانُ مالك أَلَمْ تَكنْ تَأْمرُ بِالْمَعْروفِ وَتَنهَى عن الْمنْكَرِ فيقول بلَى قد كنت آمرُ بِالْمَعْروفِ ولا آتيهِ وَأَنهَى عن الْمنْكَرِ وَآتيهِ"(٢)

وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" رأيتُ ليلة أسري بي رجالاً تقرض شفاههم بمقارض من نار ، فقلتُ : مَنْ هؤلاء ياجبريلُ ؟ "، فقال: الخطباء من أمتك، يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون " (٣)

(١) -أخرجه الترمذي في سننه برقم ٢٤٢٢، وقال: " هذا حديث صحيح".

(٢) - اخرجه البخاري برقم ٣٠٩٤، ومسلم برقم ٢٩٨٩.

(٣) - أخرجه أحمد في مسنده ٣/ ١٨٠، وابن حبان في صحيحه ١/ ٢٤٩، وإسناده صحيح.

المبحث الرابع: القدوة في البناء الاجتماعي للشباب

تعد القدوة من أهم الوسائل وأبرزها في بناء كيان الشاب المسلم، وتعزيز القيم الاجتماعية في ذاته، وتكوينه، وذلك لأنّ المربي والقدوة هو المثل الأعلى في نظره، والأسوة الصالحة في عينه، ومن هنا كانت القدوة عاملاً أساسيًا في تنشئته الاجتماعية، بل قبل هذا فالقدوة في حقيقتها " صفة اجتماعية تجسدها اجتماعية العنصر البشري أصلاً، قد لا يقتدي الصغير بالصغير، ولا الكبير بالكبير، ولا الغني بالغني، ولا الأنثى بالأنثى، ولكن هناك اقتداء يحدث في وقت ما، وبطريقة ما، ولغرض ما".(١)

ولذلك تحدث كثير من علماء الأمة في التربية عن أهمية القدوة باعتبارها وسيلة من وسائل التنشئة الاجتماعية، بل هي في نظرهم أهم وسيلة لهذه التنشئة، ولو ألقينا نظرة فاحصة على مصنفاتهم في هذا الباب لرأينا أنه لا يكاد يخلو مصنف من تلك المصنفات من الإشارة إلى القدوة وأهميتها في التنشئة والتكوين وبناء الشخصية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قيمة هذا الأسلوب في تحقيق ما قد تعجز الأساليب الأخرى عن تحقيقه.

وتزداد أهمية القدوة والحاجة إليها في سن الطفولة والصبا، وهنا يظهر أثر الأسرة في التنشئة، فهي الموطن الأول الذي تتكون فيه شخصية الطفل وتتشكل، وفي ربوعها يتلقى القيم والمبادئ التي يمضي بها في حياته المستقبلية، وفيها يدرك صواب تصرفاته من خطأها، وهذا كله يكشف لنا أهمية الأسرة في التنشئة والتشكيل والتقويم.

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا المعنى فقال:

"كل مولودٍ يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه، او ينصّرانه، أو يمجّسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء".(٢)

ومن الضرورة بمكان أن يكون الذي يقتدي به الولد نموذجًا صالحًا حاملاً للقيم والمبادئ، غير مكتف بالتوجيه القولي والدعوة إليها فحسب، ليكون ذلك أدعى لاستجابته، والتأثير في نفسه،

(١) – القدوة وأثرها في التنشئة الاجتماعية لتلاميذ المرحلة الابتدائية: ٢٤.

(٢) – أخرجه البخاري في صحيحه برقم ١٣٣٠.

وتشكيل ذاته.

ولو أنعمنا النظر في الهدي النبوي الكريم في تجسـيد القدوة للنشء في البناء الاجتماعي لوجدنا لذلك نماذج كثيرة ومتنوعة.

ومن تلك النماذج ما رواه الصحابي الجليل أنس رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم " مرَّ على غِلمانٍ فسلَّم عليهم".(١)

وفي سـلامه صـلى الله عليه وسـلم على هؤلاء الصـبيان قدوة عملية لهم على إفشـاء السـلام على الصغير والكبير.

ونجد أثر هذا الهدي النبوي الكريم واضحًا فيما بعد في شخص الصحابي الجليل أنس بن مالك الذي عاين الحدث مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حيث كان انس يسلّم على الصبيان تأسيًا بالنبي صلّى الله عليه وسلّم، ويدل على ذلك قوله: " كان النبي صلى الله عليه وسلّم يفعله"(٢).

وعندما أوصى النبي صلى الله عليه وسلم الأزواج إلى حسن معاملة الزوجات ذكّرهم بأنّه القدوة في ذلك الباب، فقال: " خَيرُكم خَيْرُكم لأهلِهأ وأنا خَيْرُكم لأهلي".(٣)

كما نلحظ هديه صلى الله عليه وسلم في الثناء على القدوة المبادر إلى تحقيق التكافل الاجتماعي في حياة المسلمين من خلال النظر في سبب ورود قوله عليه الصلاة والسلام " مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ(٤)".

حيث إنّ سبب ورود هذا الحديث قدوم قوم يلبسون ثيابًا غليظة مخرقة من صوف، وبدا عليهم الفقر والحاجة، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ليتصدقوا عليهم ويكونوا عونًا لهم فيما آلت

(١) – أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٥٨٩٣، ومسلم في صحيحه برقم ٢١٦٨.

(٢) – تخريجه كسابقه.

(٣) – أخرجه الترمذي في سننه برقم ٣٨٥٩ وقال: "هذا حديث حسن غريب صحيح".

(٤) – أخرجه مسلم في صحيحه برقم ١٠١٧.

إليه أحوالهم، فلم يتقدم لذلك أحد، فأعاد النبي صلى الله عليه وسلم دعوته، حتى قام أحد الصحابة: فجاء بوسق من تمر، ثم قلّده بقية الصحابة، وتتابعوا بجلب ما عندهم كل على حسب استطاعته وما تجود به يده، فذكر النبي صلى الله عليه وسلم هذا القول الكريم.(١)

وعندما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يعالج ظاهرة الثأر التي تعد من أخطر الظواهر الاجتماعية التي عانى منها المجتمع العربي قبل الإسلام جسّد القدوة لأصحابه في إماتتها ومحاربتها فقال في خطبة حجة الوداع:

" إنّ دماءَكم، وأموالَكم حرامٌ عليكم، كحرمةِ يومِكم هذا، في شهرِكم هذا، في بلدِكم هذا، ألا كلُّ شيءٍ من أمرِ الجاهليةِ تحت قدَميَّ موضوعٌ، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أوَّل دمٍ أضعُ من دمائِنا دمُ ابنِ ربيعةَ بن الحارث، كان مسترْضِعًا في بني سعْد فقتلتْه هُذَيل، وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ". (٢)

فبدأ عليه الصلاة والسلام بأقرب الناس إليه ليكون قدوة عملية لأصحابه في ذلك، الذين رددوا بملء أفواههم عندما قال لهم: " أَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ اللَّهُمَّ، اشْهَدْ، اللَّهُمَّ، اشْهَدْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ". (٣)

وهكذا نجد أثر القدوة الصالحة في التنشئة الاجتماعية للأفراد ومنهم الشباب، وضرورة تحليها بما تتحدث عنه، وأن يكون لها السبق والمبادرة فيما تدعو إليه.

(١) – انظر رواية سبب الورود في المصدر السابق.

(٢) – أخرجه مسلم في صحيحه برقم ٢٢٢٤.

(٣) – تخريجه كسابقه.

الخاتمــة

وفي نهاية المطاف ألخص أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث، وهي:

أولاً: إنّ القدوة لا تقتصر على الحسنة فحسب، بل تشمل السيئة منها أيضا، كما أن الحسنة منها قد تكون مطلقة، وقد تكون مقيدة.

ثانيًا: للقدوة الحسنة أثر كبير في تكوين البناء العقدي للمسلم، ولا سيما في مرحلة الطفولة والتنشئة، والصبا والمراهقة، لأنه يحاكي ويتأثر بمن يراه الأسوة والقدوة كالأبوين، والمعلم، وغيرهما.

ثالثًا: أظهر البحث شدة حرص النبي صلّى الله عليه وسلّم على استخدام القدوة في البناء التعبدي للشباب وغيرهم، وتعليمهم ما شرع من العبادات، وذلك لأن عقول الناس متفاوتة في فهم الخطاب، نظراً لتفاوت أفهامهم، وهنا يأتي دور القدوة المتجسدة لتحقيق التأسي والتعلم، حيث تقدم نموذجًا مرئيًا ومشاهداً بالعين المجردة فيتساوى أمامها الجميع، ويتحقق المعنى المراد إيصاله للفرد المقتدي.

رابعًا: إنّ القدوة الحسنة التي تتجسد فيها القيم والخصال الفاضلة والمثل الحميدة تعطي للآخرين قناعة بأنّ الوصول إلى هذا المستوى من الأمور التي يمكن بلوغها وتحقيقها على أرض الواقع، وأنها ليست ضرباً بعيد المنال.

خامسًا: بيّن البحث أنّ نجاح عملية التنشئة الأخلاقية والسلوكية للذات الإنسانية يتوقف على القدوة، فإذا كانت حسنة تكاملت الشخصية أخلاقيًا وسلوكيًا، وإذا كانت القدوة سيئة نتج عن ذلك الانحراف والفساد والانحلال الخلقي.

سادسًا: تعد القدوة من أهم الوسائل وأبرزها في بناء كيان الصبي الناشئ والشاب المراهق، وتعزيز القيم الاجتماعية في ذاتهما، وتكوينهما، وذلك لأنّ المربي والقدوة هو المثل الأعلى في نظرهما، والأسوة الصالحة عندهما.

سابعًا: كشف البحث عن أهمية تجسيد وسيلة القدوة الصالحة في مجتمعاتنا البشرية اليوم، حيث إنها أحوج ما تكون إلى ذلك فتكون مدعاة لصيانة الشاب المسلم من الانحراف، وتعكس في الوقت نفسه

النموذج العملي الصحيح لهذا الدين، وتمثل رسالة دعوية تطبيقية لتعريف غير المسلمين أيضا بأخلاقيات الإسلام وسلوكياته القائمة على الوسطية والحب والرحمة والتسامح والسلام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع

١-أســاليب الدعوة والتربية في الســنة النبوية للدكتور زياد العاني، دار عمار للنشــر والتوزيع، عمان، الأردن.

٢-أسلوب تربية الطفل بالقدوة لنور ناجحان بنت جعفر، مجلة الحديث، العدد الأول، معهد دراسات الحديث النبوي، ماليزيا.

٣-أصول التربية الإسلامية وأساليبها، لعبدالرحمن النحلاوي، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٤-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٥-البيان والتبيين للجاحظ، دار صعب، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.

٦-التربية والتعليم بالقدوة الحســنة لعبدالله بن زعل العنزي، دار القاســم للنشــر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

٧-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبدالرحمن السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٨-سنن أبي داود السجستاني، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

٩-سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١٠-سـنن النسـائي، تحقيق الشـيخ عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسـلامية، حلب، سـوريا، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

١١-السيرة النبوية للدكتور محمد بن صامل السلمي، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.

١٢-شرح صحيح مسلم للإمام النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

١٣-الصحاح للجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ.

١٤-صحيح البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، لبنان.

١٥-صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت،

الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

١٦-صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١٧-العقيدة، إصدار وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

١٨-فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٩-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام الشوكاني، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٢٠-فيض القدير شرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٢١-القدوة السيئة، مقال منشور على موقع الإسلام الألكتروني على شبكة المعلومات الدولية.

٢٢-القدوة الصالحة، لحسني أدهم، دار الضياء للنشر، عمان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥.

٢٣- القدوة الصالحة وأثرها على الفرد والمجتمع للدكتور عصام العبد زهد، بحث مقدم للقاء الدعوي الأول الموسوم " الشخصية الدعوية المؤثرة" ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٢٤-القدوة وأثرها في التنشئة الاجتماعية لتلاميذ المرحلة الابتدائية، للدكتور محمد بن شحات الخطيب، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٥-الكليات للكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٢٦-لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان.

٢٧-مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١، ٢٠٠١.

٢٨-معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٩-المعجم الوسيط، إصدار مجمع اللغة العربية، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٣٠-المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٣١-موطأ الإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ.

فهرس موضوعات البحث

المحتويات

الملخـــص..... ٥٠٣
المقدمـــة..... ٥٠٥
تمهيـــد..... ٥٠٧
المطلب الأول: تعريف القدوة لغةً واصطلاحًا..... ٥٠٧
المطلب الثاني: أنواع القدوة..... ٥٠٨
المبحث الأول: القدوة في البناء العقدي للشباب..... ٥١٠
المبحث الثاني: القدوة في البناء التعبدي للشباب..... ٥١٢
المبحث الثالث: القدوة في البناء الاخلاقي والسلوكي للشباب..... ٥١٧
المبحث الرابع: القدوة في البناء الاجتماعي للشباب..... ٥٢١
الخاتمـــة..... ٥٢٤
قائمة المصادر والمراجع..... ٥٢٦
فهرس موضوعات البحث..... ٥٢٨